الكلية الشرقية

هي مدرسة عظيمة في مدينة زحله من اعمال لبنان انشأتها الرهبانية الباسيلية الكاثوليكية سنة ١٨٩٦ واتمتها سنة ١٨٩٨ وقد اطلعنا على اعمالها لسنتها السادسة من ١٩٠٣—١٩٠٤ فوجدناه دالا دلالة كبرى على تقدمها السريع ونموها المستعجل وذلك بعناية سيادة مديرها الفاضل الخوري بولس الكفوري الذي دل على اقتدار عظيم في تولي شؤونها والسير بها في المنهج القويم . وقد وجدنا من قوانينها وشتى علومها ودروسها ما يدل على قصد حميد للخدمة الحقيقية وتخريج التلميذ على افضل ما يرجى من الطرق والاساليب في جميع اللغات ولا سيما في اللغة العربية التي وجهت اليها العناية لتوسيع مدارك التلميذ العربي واستعداد ذهنه بها لتفهم سواها بسهولة وهو ما تغفله اكثر المدارس دون تنبه الى ان العربي اشد قبولاً للغته من سواها وانه حين يبرع بها يكون جهده في تعلم غيرها اسهل عليه بكثير مما لو كان ضعيفاً فيها وتوفر جهده لتحصيل سواها ولذلك نرجو ان تكون هذه المدرسة نموذجاً لسواها في كل حالاتها كما نرجو رجال هذا القطر بالخصوص ان يوجهوا اليها ابناءهم ويعتمدوا عليها في تثقيف اولادهم وتعليمهم العلوم الصحيحة على افضل الطرق واقربها فضلاً عن انهم في ارسال اولادهم اليها يكسبونهم الصحة التي ليس كمثلها شيء اذ ان المدرسة كائنة في زحلة الجميلة في اجمل موقع من مواقعها فوق ما يضاف الى محاسن الطبيعة فيها من محاسن الجهد والتصرف والعناية اتم الله نجاحها واثاب القائمين بها واجزل اجرهم في الدارين

أنيس الجليس

الجزء الثامن — السنة السابعة

{الاسكندرية في ٣١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤}

{الموافق ١٩ جمادي الثانية سنة ١٣٢٢}

السجن الطوعي

لا بد ان يكون الناس قد تفننوا كثيراً في طرق العقاب والتأديب حتى انتهوا اخراً الى سجن المذنبين وتغريمهم بالاموال ونحو ذلك مما استقروا عليه ووجدوه خير ما يمكن لتأديب المذنب ودفع اذاه عن سواه

الا انهم مع تعويلهم على ذلك واعتبارهم اياه خير ما يكون لا يزالون على خلاف كبير في شأنه وتبديل عظيم لارائهم فيه فقد اعتمدوا على ارهاق المذنب وتعذيبه في السجن باطالة مدته مثلاً ولكنهم ما وجدوا ذلك كافياً فقرروا اهمال السجن وتركه قذراً دون نظافة ولا عناية قصد نكايته بما لا يقضي على حياته ولكنهم وجدوا ان ذلك انما يكون مفضياً الى تفشي مرض يتناول الابرياء فاقلعوا عنه ثم عمدوا الى تأديب المذنبين بتحسين اخلاقهم

وتعليمهم الصنائع وزادوا في ذلك فصاروا يسمحون للمسجونين بالتفكه بالقراءة والكتابة ونحو ذلك ارادة تقويم اخلاقهم ونحو هذا مما لا يزالون معه في حد المجرب على طول زمن التجربة ولعلهم ينتهون اخيراً الى تبديل كل ذلك تبديلاً واضحاً او الامتناع عنه اصلا والاعتماد على سواه او قد تبقى كل هذه الحالات موجودة في جميع سجون الارض اتباعا لعادات اهلها ومبلغ تأثير العقاب بهم

الا انه من غريب ما يذكر عن السجون انها على كونها في الظاهر دار عقاب واذلال وتعذيب جسد ونفس معتبرة لدى فئات من الناس بمثابة دور وملاجئ خيرية او معاقل يعتصمون بها من شرور ادهى منها ولعل هذا هو الذي دعا اولي الحكم الى التبديل في شروطها اتباعا لمذاهب الناس الذين يسجنون فيها

فلقد خبروا عن بعض الناس انهم لا يكونون اهل شر ولا لهم في الذنب ارب ولكنهم يتعمدون الاذى تعمداً قصد ان يسجنوا ليخلصوا من حالة تضايقهم في منازلهم او ليهربوا من مداينين يطالبونهم فيقبض عليهم ويودعون السجون فيرون نفوسهم فيها على راحة اوفر مما لو كانوا مطلقين يتضايقون من تكاليف معايشهم ولكن الحكومات لا تكون عالمة من ذلك بشيء بل هي تظن انها قد اعتقلتهم لتأديبهم واما هم فلا يكونون معتبرين نفوسهم لديها الا بمثابة ضيوف كرام عندها ولكن هذا مما عز عليها ان تدركه فاحتارت بامرها فيه ولا تزال محتارة تغير وتبدل دون ان تهتدي الى صواب ودون ان يساعدها الناس بان يكونوا كلهم فئة واحدة من حيث الاميال والاعتقادات

ثم ان السجن الطوعي لا يقتصر على من ذكرنا بل هو يتناول فئات عديدة من الذين خبروا السجن اولاً ثم انطلقوا منه فان الواحد من هؤلاء يكون مطلوبا للجندية مثلا في حين كذا ولا يصح ان يكون بعد سنة منه او سنتين عسكريا فيرتكب الذنب الذي يسجن لاجله سنتين فتأتي الحكومة لتجنده فتجده سجيناً فتتركه حتى اذا انتهت مدة سجنه خرج ويكون الوقت قد فات فينجو من خدمة سنوات بسجن سنة او سنتين والحكومة ذاهلة عنه ولا تدري من امره شيئاً بل هي تكون معتبرة ذاتها انها قد ظلمته او انه سيئ الحظ اذ كان سجيناً ولم يكن جنديا في حين هو يكون على اتم السرور بنجاته من شيء يعتقد انه يضايقه اشد المضايقة فضلاً عن ان سجنه عن طوع مما يسهل عليه مضض السجن كثيراً مهما كان مبرحاً

ثم ان من الناس من يكون معتاداً خلة ذميمة يود التخلص منها بما يتفق ولا يجد ذلك ميسوراً لديه وهو طليق فيرتكب الذنب ليسجن بسببه عدة شهور فتفارقه تلك العادة كالسكر او القمار ونحو ذلك وهذا مما يعد من انواع الهوس المفيد للسجين وللحكومة معاً لان الرجل يخرج بعد ذلك صالحاً بريئاً مما كان يعتقده في نفسه عيباً الا ان الحكومات لا تكون عالمة من كل هذا بشيء بل تكون ساخطة على المذنب لاعتقادها انه شرير محض

وعدا هذا فانه يوجد بين الناس من يكون قد ارتكب ذنباً صدر منه عن شر وخبث وتكون به علة فتشفيه الاقامة في السجن منها اما براحته او بمداواة اطباء السجن له ولكنه يتفق بعد خروجه من السجن ان تعاوده تلك العلة فيتذكر شفاء السجن له منها فيأخذ حينئذ يفكر في ذنب يرتكبه

ليرجع اليه ويشفى ثانية وبذلك يكون السجن له بمثابة مستشفى في حين تكون الحكومات معتقدة ان سجنها دار تأديب وقصاص

هذا وان من الناس من يبرّح بهم العدم الى حد التسوّل ويكونون ارباب انفة وشمم فيخجلون ان يدوروا بين الناس سائلين متذللين ولا يرون لهم من طريقة تريحهم من ذل السؤال الا ذل السجن الذي لا يدري به الا القليلون فيرتكبون الذنوب عن تكلف شديد حتى يسجنوا ويعيشوا هناك الى ان يقيض الله لهم فرجاً بعد انطلاقهم والا عادوا اليه او يكونون قد تعلموا في سجنهم صنعة تغنيهم عن ذل السؤال فيكون السجن لديهم بمثابة مدرسة والحكومات غافلة عن كل هذا . ومنهم من يكونون في اشد حالات الكسل حتى لا تطاوعهم ايديهم لعمل فيرتكبون الذنوب ليسجنوا ويعيشوا في اكناف الحكومة مستريحين . ومنهم من يكونون مطاردين من اقاربهم او نسائهم او هاربين بشيء غنموه ولا يريدون ان يدري بمقرهم احد فيعمدون الى الذنوب ويرتكبونها حتى يبيتوا بمعزل عن العيون والارصاد وتتناسى ذنوبهم بل ان منهم من يرون لقلة عقولهم وفساد تربيتهم ان دخول السجن شرف لهم وانهم اذا لم يدخلوه لا يكونون معدودين من اولي البأس فتراهم يسرقون ويفتكون بالناس كما يتفق لهم قصد ان يدخلوا السجن ثم يخرجون منه وقد سجلت لهم الشجاعة والفتوة وهذه الفئة كثيرة جداً في القطر المصري وقد اعجز الحكومة امرها لكثرة عديدها وانتشار هذا المبدأ بينها . بل ان منهم ولا سيما في هذه البلاد من يرون زيارة السجن كل عام فرضاً مقدساً عليهم كأنه زيارة لضريح نبي او ولي ولذلك تراهم يرتكبون الذنوب في اوقاتها

المعينة حتى تكون زيارتهم مضبوطة غير متقدمة ولا متأخرة وهذا من غريب الاخلاق والعادات

الا ان جملة ما يذكر عن السجون انها جديرة بان تحير افهام اولي الحذق والتدبير حتى لا يهتدوا منها الى طريقة تريح لان السجن في ظاهره واحد ولكن مسجونيه على خلاف كبير لديه واعتبار متباعد له حتى ان الحكومات لو وفقت وامكنها معرفة الاسباب التي دعت مسجونيها الى الذنوب لجعلت لكل واحد منهم سجناً خاصاً وعاملته المعاملة اللائقة به ولكنه ربما يجيء يوم تلغى به السجون جملة ويترك مبدأ الاعتقال تركاً تاماً لانه على ما يظهر من امر هذه السجون انها ليست الا دار كسالى او دار صنائع وسخرة بل هي قد صارت اليق بمعلمي الصبيان منها باولي التدبير ومهذبي الرجال